المقدمة

إن النمو السوى للإنسان من أهم الغايات السامية لجهود التربويين والمربين وكل القائمين على عمليات التنشئة الاجتماعية، وجميع العاملين فى مجال التربية. فضلا عن الإنسان العادى الذى يسعى إلى السواء.

ولا شك أن معرفة مظاهر النمو وخصائصه، والعوامل التى تؤثر فيه، والمبادئ والقوانين التى يسير وفقها نمو الإنسان، ثم مطالب النمو واحتياجاته فى كل مرحلة عمرية؛ يُفيد كل هؤلاء من المهتمين بتربية الإنسان وتنشئته وتنميته فى كل المراحل العمرية بدءًا من الإشراف على الأم الحامل ورعايتها وتقديم النصح لها وإرشادها وزوجها قبل الحمل بل قبل الزواج للوقاية من أى عوامل سلبية فى الوراثة يمكن أن تصيب الطفل قبل أن يولد. كما يساعد المربين والآباء والأمهات لتهيئة الظروف اللازمة لنمو سوى لأطفالهم، وتجنب تلك العوامل السلبية التى تعوق هذا النمو.

إن معرفة العوامل السلبية التى تعترض نمو الإنسان فى كل مرحلة من المراحل العمرية يساعد المختصين وغير المتخصصين على توفير المناخ اللازم للنمو السوى فى كل مرحلة عمرية، والعمل على إبعاد تلك العوامل السلبية، من أجل نمو سوى وصحيح للإنسان فى جميع مراحل نموه.

«إننا لا نصنع نموًا، فالصانع هو الله؛ ولكننا نهيء أحسن الظروف لسير النمو فى مساره الصحيح الذى قدره الله له».

لقد أمرنا المولى عز وجل بالتفكر فى خلقه وإعمال العقل بالبحث والدراسة وتسخير كل ما أوتينا من علم وقد رات وإمكانات لخدمة البشرية والوصول

بالإنسان إلى أفضل مستوى يمكن أن يصل إليه عقليًا وجسميًا وانفعاليًا واجتماعيًا، وذلك بحسب القدرات التى خلقها الله فيه والإمكانات التى منحها الله له.

يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات: ٢١].

ويقول عز من قائل: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [سورة فصلت: ٥٣].

ويقول جل شأنه: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [سورة الشمس من ٧ ـ ١٠].

إن هذه الآيات الكريمة تدعونا للبحث فى النفس البشرية ودراسة كل متعلقاتها من اتجاهات وقيم وسلوكيات وقد رات، وما يعتريها من علل وأسقام ومعرفة مايصلحها ويزكيها، وما يقيها من الأمراض والاضطرابات ويبعدها عن أسباب الانحراف وعدم السواء، فضلًا عن العمل على إصلاحها وتنميتها وتزكيتها.

إن الكتاب الذى بين يديك يحتوى على كل ما يهم الإنسان معرفته عن مسار نموه، والقوانين التى يسير وفقها هذا النمو، ومظاهره فى كل مرحلة من مراحل النمو منذ أن كان نطفة فى رحم الأم، مرورًا بميلاده، ثم الطفولة ومراحلها، والمراهقة ومراحلها وما يعتريها من مشكلات وتقلبات ، وكيفية التغلب عليها، ثم مرحلة الشباب والرشد ومظاهر النضج والقوة فى هذا المرحلة. وكذلك مرحلة الأشد ووسط العمر حيث اكتمال النضج فى كل مظاهر النمو الإنسانى وجوانبه. وبعد ذلك يتناول مرحلة الشيخوخة وهى بداية ضعف الإنسان، وما يحيط بهذه المرحلة من ظروف غير مواتية. ويقدم الكتاب للمسنين ما يساعدهم على التوافق مع الظروف الحياتية الجديدة فى هذه المرحلة.

ويشتمل الكتاب على ستة فصول؛ آليت أن يكون أول فصل؛ لتوضيح العلاقة بين الإسلام وعلم النفس بصفة عامة وعلم نفس النمو بصفة خاصة.

والفصل الثانى؛ اختص بما جاء عن النمو الإنسانى فى الإسلام فى القرآن الكريم والسنة والنبوية المطهرة.

أما الفصل الثالث؛ فقد اشتمل على مفاهيم النمو الإنسانى فى علم نفس النمو متضمنًا قوانين النمو ومبادئه، وأهمية دراسة نمو الإنسان، وطرق الدراسة والبحث فى النمو الإنسانى والمناهج العلمية المتبعة فى ذلك، وكذلك العوامل المؤثرة فى النمو الإنسانى مثل: الوراثة، والبيئة، والتعلم وغيرها.

وفى الفصل الرابع؛ تم شرح مظاهر النمو بجوانبه الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية فى جميع مراحل النمو؛ الحمل ـ المهد ـ الرضاعة ـ الطفولة المبكرة والوسطى والمتأخرة، ـ المراهقة بأطوارها المبكرة والوسطى والمتأخرة، والشباب والرشد، ثم مرحلة الأشد ووسط العمر، وأخيرًا مرحلة الشيخوخة ومشكلاتها.

أما الفصل الخامس؛ فقد تضمن العوامل التى تعوق النمو السوى للإنسان فى مراحله المختلفة.

وأخيرًا... اختص الفصل السادس؛ بتفصيل وتوضيح احتياجات ومطالب النمو السوى للإنسان فى جميع مراحل النمو من الحمل إلى الشيخوخة. وقدمت فى هذا الفصل الحاجات النفسية للأطفال بصفة خاصة ومجموعة من الإرشادات النفسية لكيفية تحقيق هذه الحاجات. وتوصيات خاصة لمن اقتربوا أو وصلوا لسن الشيخوخة للمحافظة على سوائهم النفسى والانفعالى والمعرفى فى هذه المرحلة وما بعدها.

والكتاب بكل ما اشتمل عليه من معلومات ومعارف ونتائج دراسات وبحوث علمية فى مجال علم النفس، ونتائج جهود بحثية فى القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة وما ورد فيهما من تبيان لخصائص النمو الإنسانى، وتربية النشئ، وتهذيبه. يُعد قليل من كثير مما يذخر به التراث الإسلامى، وتراث علم النفس، وبحوث المسلمين وغير المسلمين فى مجال «نمو الإنسان».

وأحسب أننى لم أقصر فى تبسيط المعلومة ـ دون إخلال بالمعنى ـ وتوضيحها بأسلوب يسهل فهمه من العامة وغير المتخصصين.

وأرجو من الله أن ينتفع الجميع من هذا الجهد المتواضع، وأن تعم الفائدة المرجوة

لتشمل الباحثين وطلاب علم النفس، والمتخصصين وغير المتخصصين، وجميع المربين والتربويين والمسئوليين عن التنشئة والرعاية الاجتماعية والنفسية للمسنين والشباب والمراهقين والاطفال.

وأدعو الله العلى القدير أن يصل كل إنسان إلى نمو سوى آمن فى جميع المراحل العمرية المقدرة له.

والله الهادى إلى سواء السبيل.

الدكتورة علا عبد الباقى إبراهيم
أستاذ الصحة النفسية

obeikandl.com